

السكك الحديدية والانصهار الوطني

كبيرة من الطرق والسكك الحديدية... تربط أنحاءها ببعض، وتسهل الاتصال فيما بين مناطقها، وفئات شعبها المختلفة.

والأمثلة على صحة ما ذكر كثيرة... منها (على سبيل المثال): حال كل من الولايات المتحدة (مجموع طول القضبان فيها هو ٢٣٨،٩٤٩ كم)، والمانيا (ومجموع طول القضبان فيها ٤١،٢٥٦ كم) والبرازيل، واليابان (ومجموع طول السكة الحديد باليابان ٢٧،٢٦٨ كم) في هذا الخصوص. فالسكة الحديدية في هذه الدول تخدم ملايين الركاب سنويا، وتنقل ملايين الأطنان من البضائع، وتوظف عشرات الآلاف من المواطنين. وهذه الدول قوية، لأنها متحدة، وشعوبها متماسكة، ومتراصة. ومن أهم أسباب هذا الاتحاد، وذلك الترابط، هو: توفر شبكة واسعة من الطرق والسكة الحديد، في كل منها... توصل بين مختلف أرجائها، وتوثق الصلات بين أفراد شعوبها، بمختلف فئاتهم.

إن أطراف كل من هذه الدول (وغيرها كثير) يرتبط مع غيره بشبكة كبيرة، ومتشعبة، من السكك الحديدية... بحيث يمكن لأي مواطن أن يسافر (بالقطار) من أي مكان رئيسي، إلى أي مكان رئيسي آخر، في نفس البلد، أو حتى خارجه. هذا، بالإضافة إلى نقل كميات ونوعيات هائلة من السلع والخدمات، عبر تلك الشبكات، التي تستوعب نسبة كبيرة من وسائل المواصلات، تصل إلى حوالي ٥٠٪ في بعض المناطق. ومن ينظر إلى خارطة السكك الحديدية لكل من هذه الدول، وما شابها، سيرى شبكة عنكبوتية متشعبة... تشبه "الشرابين" في جسد الإنسان... وتؤدي دور الشرايين أيضا، بالنسبة لحياة (جسد) البلد المعني.

وباختصار، لقد أصبحت نوعية وحجم الطرق الحديدية، في أي بلد، من أهم دوافع الانصهار الوطني بذلك البلد، وبالتالي من محددات مدى استقراره السياسي... ومن ثم من أهم مقاييس مدى "تقدمه". فكلما حسنت نوعية الطرق الحديدية، وكبر حجمها - في أي بلد - زادت درجة الانصهار الوطني بها... ومن ثم علا مستوى استقرارها السياسي، وارتفع مكانها في سلم "التقدم"، والعكس صحيح.

انتذكر دائما هذه المعلومات كلما قرأت، أو سمعت، عن مشاريع السكك الحديدية في بلادنا العزيزة الترابية الأطراف. فالمشاريع والخطط كثيرة وطموحة. ولكن، ما زلنا نتطلع لتحول هذه المشاريع، أو حتى شيء منها، إلى حقائق على الأرض. وقد كان لمجلس الشورى - وما زال - دور بارز ولمموس في التأكيد على ضرورة الشروع في بناء شبكة متكاملة من السكك الحديدية في طول البلاد وعرضها. ولم يفوت المجلس أي مناسبة للدعوة نحو دعم شبكة السكة الحديد بالبلاد. وتجاوبت القيادة، وعلى الفور، مع هذه الدعوات، ووضعت الخطط، وأعلنت المشاريع، وكل ذلك يدعو للارتياح، والتفاؤل.



أ. د. صدقة يحيى فاضل

يقول علماء السياسة بأنه يجب السعي - بجد وداب - لتحقيق أقصى قدر ممكن من «الانصهار الوطني» (National Integration) لكل شعب، حتى يضمن استقراره، على المدى الطويل. وهذا النوع من الانصهارات يعني: مدى تجانس واتحاد وتماسك فئات الشعب الواحد مع بعضها... ومدى تميزها، وتضامنها، في مواجهة الغير، وما قد يصادفها من تحديات. وبذلك، يختلف الانصهار الوطني عن غيره من الانصهارات الأخرى... كالانصهار الأسري، والمهني، والدولي... الخ، وإن كان هناك تشابه فيما بين هذه المفاهيم.

ويعتبر «الانصهار الوطني» العنصر الأهم في عملية «التنمية السياسية» الإيجابية (المستمرة)... التي تحتاج إليها كل بلد - حاجة ملحة ومؤكدة، وسواء كانت متقدمة أم متخلفة. وأهم عناصر هذه

التنمية، هي: الانصهار الوطني، والمشاركة، ودعم الوعي السياسي، وسن القوانين اللازمة، ودعم وتمكين المؤسسات الضرورية.

و «التنمية السياسية» الإيجابية ضرورة أساسية لـ «الاستقرار السياسي»... الذي لا يمكن تصور وجود حياة طبيعية بناءة إلا في ظل قدر معقول منه (الأمن في الأوطان). ويعتبر الانصهار الوطني عنصر أساس (لا غنى عنه) في عملية التنمية السياسية الإيجابية المستمرة هذه... التي هي بدورها متطلب ضروري، لتحقيق الاستقرار السياسي، والذي تحتاجه كل بلد - حاجتها للماء والهواء، حتى يسير دولا الحياة فيها بشكل مثمر.

من هنا، تأتي أهمية «الانصهار الوطني»، بالنسبة للدول، وأهمية، بل وحتمية، توفر قدر مناسب منه... حتى تسير الحياة بشكل طبيعي، وبناء.

ولـ «الانصهار الوطني» (البعض يسميه «الوحدة الوطنية») عناصر عدة هامة... منها: محاولة تحقيق أعلى درجة ممكنة من الاتصال، والتواصل، و «الترابط»، فيما بين أبناء فئات الشعب الواحد... عبر عدة وسائل، منها: دعم قطاع «المواصلات» (Transportation)... ومحاولة ربط كل أطراف البلاد ببعضها، عبر شبكات نقل مناسبة.

ومعروف، أن المواصلات «المعاصرة تنقسم إلى: مواصلات برية، وبحرية (مائية) وجوية... بالإضافة إلى وجود مواصلات برمائية محدودة. وفي مجال المواصلات هذا، تبرز المواصلات البرية كأهم أنواع المواصلات (نسيبا). وفي المواصلات البرية، نجد أن السكك الحديدية (القطارات) توصف بأنها - في الغالب - ثاني أهم وسائل المواصلات البرية - بعد الطرق (السيارات والشاحنات). وفي بعض الحالات، تمثل مواصلات السكة الحديدية المركز الأول، وتأتي السيارات (الركبات) ثانيا.

ويطول بنا المقام إن حاولنا حصر أهم مزايا القطارات، وبعدها السياسي الإيجابي الهائل، خاصة فيما يتعلق بمسألة «الانصهار الوطني». وكذلك فوائد الطرق الحديدية الاقتصادية، ومزاياها الاجتماعية، العديدة. ويكفي إن نشير إلى بعد «الانصهار»، وبأن هناك دولا واسعة المساحة، متباعدة الأطراف، متنوعة السكان، ولكنها موحدة، أو متحدة، بضمون وشكل صلبين. والسبب في ذلك يعود إلى عدة عوامل، من أهمها: وجود شبكة